مجلة كلية الآداب

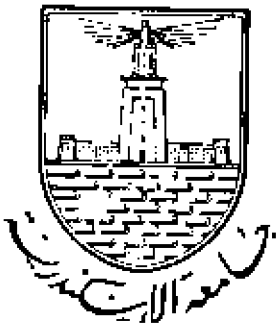

العدد الحادى والعشرون

١٩٦٧

تطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية بالشاطبى ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية إلى

هيئة تحرير المجلة

مطبعة جامعة الإسكندرية

١٩٦٨

فهرس

الرودكى ... ... صفحة

للدكتور طه ندا ١ — ٤٦

الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ... ...

للدكتور أحمد مختار العبادى ٤٧ — ٧٩

أبو تمام فى مصر ... ...

للدكتور طه الحاجرى ٨١ — ١٨٠

المؤرخ وليام الصورى ... ...

للدكتور عمر كمال توفيق ١٨١ — ٢٠٠

حول أهداف الجغرافية التاريخية واتجاهاتها الحديثة ... ...

للدكتور عبد الفتاح محمد وهيبة ٢٠١ — ٢٢٤

بين الفنون والبيئة فى كل من العراق ومصر فى عصورها القديمة

للدكتور محمد أبو المحاسن عصفور ٢٢٥—٢٤٠

حول وضع مصر فى الامبراطورية الرومانية .. ..

للدكتور مصطفى العبادى ٢٤١ — ٢٥١

المرحوم الأستاذ الدكتور جمال الدين محمد الشيال

(١٩١١ ـ ١٩٦٧)

الأستاذ الدكتور جمال الدين محمد الشيال

فى صباح الخميس ٢٩ رجب ١٣٨٧ هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، فقدت كلية الآداب بجامعة الاسكندرية عميدها الأستاذ الدكتور جمال الدين محمد الشيال فقدت الكلية بذلك عالماً من علمائها المخلصين ورائداً من روادها الذين ساهموا فى بنائها .

لقد قضى رحمه الله أكثر من ثلاثين عاماً يدرس التاريخ فى معاهدوجامعات مصر والوطن العربى . وأخذ عليه العلم أجيال متعاقبة من الطلاب الذين تأثروا بطريقته ومنهجه كما تأثروا بأخلاقه وروحه العالية . ولقد كون مدرسة كبيرة فى حقل الدراسات التاريخية الاسلامية . وكانت دراسة التاريخ عنده تنهج المنهج العلمى الصحيح القائم على الدراسة التحليلية المقارنة مما أعطى لأبحاثه العديدة طابع الأصالة والجدة . وقد قدم للمكتبة العربية مجموعة من أجل البحوث والتحقيقات الدقيقة . كما نشر مجموعة من المخطوطات الفريدة فى التاريخ الاسلامى . وشارك مشاركة فعالة فى معظم اللجان والمجالس والمؤتمرات التى تبنى السياسة التعليمية والثقافية فى الجامعات والمعاهد العليا .

وقد قدرت الدولة قدره وفضله على العلم فمنحته جائزتها التشجيعية فى ١٩٥٨ ووسام العلم من الدرجة الأولى عن كتابه " مجموعة الوثائق الفاطمية " . وكان الفقيد ـ رغم أعبائه الكثيرة ـ يحرص على طلب الرحلة إلى الأقطار

العربية والاسلامية ، وهو تقليد جرى عليه علماء الاسلام الأقدمون ، حرصاً منه على تطبيق مبدأ المشاهدة العينية فى كل ما يقوم به من دراسات فى التاريخ الاسلامى عامة وتاريخ العرب بوجه خاص . وحسبنا أن نستعرض بايجاز انجازاته العلمية الخصبة التى كانت موضع تقدير علماء الشرق والغرب :

الانتاج العلمى

كتب مؤلفة

(أ) باللغة العربية :

١ ــ رفاعة الطهطاوى "مجموعة أعلام الاسلام" ، القاهرة ١٩٤٥ .

٢ ــ مصر والشام بين دولتين ، القاهرة ١٩٤٧ .

٣ ــ مجمل تاريخ دمياط ، الاسكندرية ١٩٤٩ .

٤ ــ تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية، القاهرة ١٩٥١ .

٥ ــ تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على، القاهرة ١٩٥٢

٦ ــ الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها منذ أقدم العصور القاهرة ١٩٥٢ .

٧ ــ الديرية (١) ، أسبابها ونتائجها (ترجمة عربية للفصل ٨٤ بقلم المؤرخ G. G. boulton من الموسوعة التاريخية "تاريخ العالم"

(The Universal History of the World. edit. by : Sir J. A. Hammerton.)

(والموسوعة من مطبوعات وزارة التربية والتعليم بالقاهرة) القاهرة ١٩٥٧

٨ ــ الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الاسلامى الحديث (مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة)

الجزء الأول (بلاد العرب والهند) القاهرة ١٩٥٧

---

(١) نشرت هذه الترجمة كذلك فى (مجلة الآداب بجامعة الاسكندرية ، المجلد ١١ ، ١٩٥٧ ــ ٥ ص ١٨٣ ــ ٢٢١) .

٩ ــ الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الاسلامى الحديث الجزء الثانى (مصر والشام) ، القاهرة ١٩٥٨ .

١٠ــ مجموعة الوثائق الفاطمية (مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) الجزء الأول القاهرة ١٩٥٨ طبعة ثانية ١٩٦٥ .

١١ــ التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر، القاهرة ١٩٥٨

١١ــ رفاعة رافع الطهطاوى (مجموعة نوابغ الفكر العربى) القاهرة ١٩٥٨

١٣ــ قصة الكفاح بين العرب والاستعمار (بالاشتراك مع الاستاذ محمد سعيد العريان) القاهرة ١٩٦٢ .

١٤ــ مصر فى العصر الفاطمى (فصل من موسوعة تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الثانى مطبوعات وزارة الثقافة) القاهرة ١٩٦٣.

١٥ــ أعلام الاسكندرية فى العصر الاسلامى ــ القاهرة ١٩٦٥ .

١٦ــ دراسات فى التاريخ الاسلامى ، بيروت ١٩٦٦ .

١٧ــ تاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية سنة ١٩٦٧ .

١٨ــ تاريخ مصر الاسلامية (الجزء الأول من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى) ــ الاسكندرية ١٩٦٧ .

١٩ــ تاريخ مصر الاسلامية (الجزء الثانى : العصران الايوبى والمملوكى) الاسكندرية ١٩٦٧ .

٢٠ــ علم التاريخ عند العرب وأثره فى الفكر التاريخى الأوروبى على عصر النهضة تحت الطبع

٢١ــ أبو بكر الطرطوشى (مجموعة أعلام العرب) ــ تحت الطبع

٢٢ــ جمال الدين بن واصل وكتابه مفرج الكروب فى أخبار أيوب (رسالة دكتوراه لم تطبع بعد)

(ب) باللغة الانجليزية :

23 — A History of Egyptian Historiography in the 19th Century. (Alexandria University Publications) Alex., 1962.

24 — Historiography in Egypt in the 19th Century, in (Historians of the Middle East, edit. Bernard Lewis and P. M. Holt, Oxford University Press, London, 1962.)

25 — Some Aspects of the Intellectual and Social Life in 18th Century Egypt, in (Political and Social Change in Modern Egypt, edit. P. M. Holt, Oford University Press, 1967).

كتب حققه من التراث العربى القديم

١ — اغاثة الأمة بكشف الغمة لتقى الدين المقريزى — الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٠ (بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة) الطبعة الثانية ١٩٥٧ .

٢ — نحل عبر النحل للمقريزى ، القاهرة ١٩٤٦ .

٣ — اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء للمقريزى ، القاهرة سنة ١٩٤٨ .

٤ — الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك للمقريزى ، القاهرة سنة ١٩٥٥ .

٥ — مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب لجمال بن واصل (مطبوعات وزارة الثقافة) الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٣ .

٦ — الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٥٧ .

٧ — الجزء الثالث ، القاهرة ١٩٦٠ .

٨ — حلية الزمن لسيرة خادم الوطن (ترجمة حياة رفاعة الطهطاوى) لصالح مجدى ، القاهرة ١٩٥٨ .

٩ — النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) لبهاء الدين بن شداد ، القاهرة ١٩٦٤ .

١٠ــ اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا (النسخة الكاملة) للمقريزى (مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية) الجزء الأول ــ القاهرة سنة ١٩٦٧ .

١١ــ أنيس الجليس فى تاريخ مدينة تنيس لمحمد بن أحمد بن بسام التنيسى ، بغداد ١٩٦٧ .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة ، وألهمنا جميعاً أجمل الصبر .

المرحوم الدكتور محمد أحمد أبو الفرج

(١٩٢٥ – ١٩٦٧ م)

الدكتور محمد حمد أبو الفرج

فى يوم الخميس ، التاسع من نوفمبر سنة ١٩٦٧ م ، مضى إلى جوار ربه ، بعد اثنين وأربعين عاماً كانت قد بدأت تحفل بالنضج والاكتمال ، فترك برحيله فراغاً فى كلية الآداب ، وفراغاً فى قسم اللغة العربية ، وفراغاً فى الدرس اللغوى على وجه الخصوص .

والمتتبع لتطور الدراسة الجامعية منذ نشأتها حتى الآن يعلم أن الذين يقفون حياتهم على الدرس اللغوى للعربية قليلون، على خطورة هذا الدرس وأثره فى الحياة الاسلامية والعربية ، ومن ثم نلمس مدى الخسارة التى منى بها قسم اللغة العربية بعد أن رحل عنه هذا العام الأستاذ الدكتور محمد أبو الفرج وكان قد رحل قبله منذ سنوات الأستاذ الدكتور محمود السعران ، وكانا – رحمهما الله – قد أمضيا شبابهما فى الدراسة اللغوية ، وبدأت جهودهما تؤتى ثمارها فى هذا الميدان . .

حصل الفقيد على الليسانس بمرتبة ممتاز سنة ١٩٤٨ ، وحين عين معيداً بالقسم اختار العلوم اللغوية لتكون مجال تخصصه ، وكانت المناهج الأوربية فى هذه العلوم قد بدأت تفد على يد بعض الأساتذة الذين درسوها فى الخارج ، وقد توافرت

لأبي الفرج — رحمة الله عليه — فرصة مرافقة الأستاذ فيرث رئيس قسم اللغويات بجامعة لندن حين كان يزور — لفترة — جامعة الاسكندرية . وانطلق الفقيد يدرس العربية على ضوء هذه المناهج، فقدم لجامعة الاسكندرية رسالته للماجستير عن « الاستفهام فى اللغة العربية على ضوء الدراسات اللغوية الحديثة » . حيث حصل على درجتها سنة ١٩٥٣ . ثم أوفد فى أجازة دراسية إلى انجلترا، ودرس فى جامعة لندن على الأستاذين فيرث وميتشل أصول العلوم اللغوية فى تطورها الأخير، وحصل من جامعة لندن على درجة الدكتوراه سنة ١٩٦٠ فى موضوع « لهجة طهواى » ، القرية التى ولد فيها .

وعاد ليشارك فى تدريس العلوم اللغوية بقسم اللغة العربية ، ثم أعير إلى جامعة بيروت العربية حيث أمضى أربع سنوات نشر فيها كتابيه « المعاجم اللغوية » ، و« مقدمة لدراسة فقه اللغة » .

والكتابان — بلا ريب — مساهمة جادة فى بناء الدرس اللغوى للعربية ، فالكتاب الأول يقدم تناولا جديداً للمعاجم اللغوية « فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث » عرض فيه لماهية المعجم وللمعاجم العربية ، ولغتها، وترتيب موادها ، وشرح معانيها ، الصوتية والنحوية والصرفية ... الخ .

أما الكتاب الثانى فهو محاولة قيمة لعلها تحسم كثيراً من الخلط الذى يتناول به غير واحد مادة « فقه اللغة » حين يكتبون فيها أو حين يلقونها فى قاعات الدرس . وحسب هذا الكتاب — أن الباب الخامس فيه يوضح الحدود — العلمية لدراسة فقه اللغة كما يفهمها المعاصرون .

والكتابان من نشر دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٦٦ .

وقدم الفقيد أيضاً بحثاً موجزاً عن « اللغة والمجتمع » كان قد ألقاه ضمن سلسلة محاضرات الجامعة العامة سنة ١٩٦٦ .

وتوفى رحمه الله أستاذاً مساعداً ، وعاد ليدفن حيث ولد فى قريته .. طهواى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الرودكى

للدكتور طه ندا

اختلف المؤرخون كثيراً فى اسم الرودكى ونسبه . ومن بين اختلافاتهم نرجح أنه أبو عبد الله جعفر بن محمد الرودكى (١) .

وقد بلغ الرودكى من علو الشأن مبلغاً عظيما حتى كان يلقب ألقاباً مختلفة كالأستاذ ، وسلطان الشعراء ، والحكيم إلى غير ذلك من الألقاب التى تدل على مكانته لدى أهل الأدب وكتاب التذاكر .

وينكر سعيد نفيسى أن يكون الرودكى قد لقب بمثل هذه الألقاب العربية لأنها فى رأيه لم تكن شائعة فى عهد السامانيين ، فقد كانوا كما يقول متعصبين للناحية الايرانية ولم يلقب واحد من أمراء البلاط السامانى أو الصدور والوزراء بهذا المعنى (٢) . ولا أدرى كيف بنى نفيسى استنتاجه هذا ؟ وكيف فاته أن الألقاب العربية كانت مستعملة فى عهد الدولة السامانية وكان يلقب بها الأمراء أنفسهم ، فالأمير أحمد والد نصر حين قتل لقب بالشهيد ، ونصر ولده يلقب بالسعيد ، ونوح بن نصر كان يلقب الحميد ، ومنصور بن نوح لقبوه السديد . وهكذا ترى أن الألقاب العربية كانت مستعملة فى هذا العصر ، وبلغ من انتشارها ورواجها أن الأمراء أنفسهم كانوا يلقبون بها . هذا فضلا عن أن السامانيين لم يكونوا متعصبين

---

(١) المصادر التى أيدت هذا أكثر عدداً ، وأوثق مادة ، وأقدم عهداً

(٢) أحوال وأشعار رودكى ، ص ٤٦٢ ط تهران

للناحية الايرانية إلى الحد الذى يصوره نفيسى ، فانهم وان كانوا قد اهتموا بها ودعوا اليها لم يقضوا على الناحية العربية ولم يضطهدوها . وآية هذا أن كثيراً من الشعراء قالوا الشعر فى هذا العهد باللسانين ، وان بعض شعراء الأمير نفسه كالمرادى كان يقول الشعر فى مدحه بالعربية وينال عليه جائزة الأمير (١) .

ويمكن أن نعتبر اشتهار الرودكى بنسبته هذه سبباً قوياً لإهمال اسمه الأصلى مما أدى بعد ذلك إلى الاختلاف فيه .

وكما اختلفوا فى اسمه وكنيته اختلفوا كذلك فى نسبته . وفيما يلى أمثلة من اختلافهم فى هذه النسبة :

١ — فدولتشاه صاحب تذكرة الشعراء يذكر أنه سمى الرودكى لأنه كان يجيد العزف على الرود أو البربط وهو آلة من آلات الموسيقى كان له فيها مهارة عظيمة (٢) .

٢ — يذكر عوفى فى لباب الألباب أن الرودكى نسبة إلى بلدة رودك من نواحى سمرقند (٤) . وهناك من يذكر أن رودك من أعمال بخارى (٣) . وهناك من ذكر أنها من نواحى نسف (٥) . ويذكر السمعانى أن الرودكى نسبة إلى «رودك» من نواحى سمرقند وبها قرية يقال لها «بنج» وهذه القرية قطب رودك . وهى على فرسخين من سمرقند . والمشهور منها الشاعر المليح القول بالفارسية السابر ديوانه فى بلاد العجم أبو عبد الله جعفر الرودكى (٦)

---

(١) يتيمة الدهر — ترجمة المرادى : ص ٤/٧١ ط الصاوى ١٩٣٤

(٢) تذكرة الشعراء ص ١٨ ط بمباى

(٣) لباب الألباب ج ٢

(٤) تذكرة الشعراء : ص ١٨ ط بمباى

(٥) مجمع الفصحا : ص ١/٢٣٩

(٦) الانساب : ٢٦٢ ط مارجليوث

ومهما يكن خلافهم فى موقع رودك هذه فان المسلم به أنها قرية وأن الشاعر منسوب اليها .

ومناقشة الرأى الأول القائل إن الرودكى نسبة إلى رود (١) كما ورد فى دولتشاه ومجمع الفصحا نرى أنه جائز أن تكون الكاف الزائدة هنا هى الكاف التى يضيفونها للتصغير ثم ألحقت بالكلمة بعد ذلك ياء النسبة العربية . ولكن فى هذا الرأى تكلف ظاهر . ولذا كان من الأصح أن نؤيد نسبته إلى رودك التى هى البلدة . ونسبة الناس إلى أوطانهم أمر شائع فى كل زمان .

بقى بعد ذلك أن أفسر سبب الاختلافات فى موضع رودك . وهذه الاختلافات تنحصر فى اعتبار رودك ناحية من نواحى واحدة من هذه المدن الثلاث : سمرقند وبخارى ونسف . فالى أى واحدة من هذه المدن يمكن أن نضيفها ؟ إذا ألقينا نظرة على الخريطة وجدنا أن بخارى وسمرقند تتحاذيان تقريباً تحت خط عرض ٤٠ . وأما نسف فتقع جنوبهما تحت خط عرض ٣٩ متوسطة فى المسافة بينهما . أى أن المدن الثلاث تكون مثلثاً مقلوباً متساوى الأضلاع تقريباً رأسه فى نسف وزاويته التى فى سمرقند واليسرى فى بخارى(٢). وإذا عرفنا هذا الموقع الجغرافى للمدن الثلاث سهل علينا تفسير هذا الاختلاف فلا شك فى أن رودك كانت فى موقع متوسط بين هذه المدن داخل المثلث ولهذا اعتبرها بعضهم من أعمال بخارى ، واعتبرها البعض الآخر من نواحى سمرقند ، واعتبرها فريق ثالث من بلاد نسف . ولدقة التحديد نرجع إلى نص السمعانى السابق فنراه قد حدد المسافة بين رودك وسمرقند بفرسخين وما دامت المسافة بين رودك وسمرقند فرسخين فهى قطعاً أقرب إلى سمرقند ومن هنا يجب أن نعتبرها من أعمال سمرقند .

وقد نسب الرودكى إلى قرية رودك لأنه ولد ومات هناك (٣) .

---

(١) الرود هو الطنبور والعود وكذلك البربط .

(٢) راجع مثلا الخريطة رقم ٩ فى كتاب Le Strange من بلدان الخلافة الشرقية .

(٣) السمعانى : ص ٩٢ و ٢٦٢ .

ولا يغير من هذا بطبيعة الحال قول السمعانى انه ولد فى بنج فالظاهر من كلامه أن بنج هذه جزء أو حى أو ناحية من نواحى رودك .

ولا نعلم على وجه التحقيق فى أى سنة كان مولد الرودكى . ولكن السمعانى يذكر أنه مات سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م (١) . ونعلم أيضاً أن عدداً من معاصريه الشعراء المعروفين كشهيد البلخى ومرادى قد سبقوه فى الرحلة إلى العالم الآخر حتى أنه رثاهم . وعندنا إلى جانب هذا كله مجموعة من أشعاره يصف لنا فيها ما أصابه فى شيخوخته من تساقط الأسنان التى كانت فى لمعانها وبياضها كالمصابيح المنيرة وما أصابه من الضعف حتى لم يعد يقوى على الذهاب إلى الممدوح لمنحه بنفسه فيرسل اليه المديح من بعيد (٢) إلى غير ذلك من المعانى التى تعبر عن الشيخوخة . ومثل هذه الشيخوخة لا تكون غالباً الا فيما يقارب الثمانين . وعلى هذا إذا نقصنا ثمانين عاماً من تاريخ وفاته وهو ٣٢٩ هـ لوجدنا انه ولد حوالى سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م أى فى منتصف القرن الثالث الهجرى .

ويهمنا بعد ذلك أن نعرف كيف قضى الشاعر الفترة الأولى من حياته التى امتدت حتى نهاية القرن الثالث ، وهى الفترة التى سبقت اتصاله بالأمير نصر بن أحمد السامانى .

نشأة الشاعر :

نشأ الرودكى فى رودك وبها حفظ القرآن حتى أتمه فى سن الثامنة فيما يقال . وكان على جانب كبير من الذكاء ، وحدة الذهن ، وحسن الصوت مما وجهه إلى تعلم الموسيقى والغناء حتى برع فيهما إلى جانب براعته فى الشعر .

---

(١) السمعانى : ٢٦٢

(٢) راجع ص من هذا البحث

وكان الرودكي كفيفاً في طفولته . ويرى بعض أصحاب التراجم أنه ولد هكذا . وعوفي يذكر أنه ولد أعمى ولكنه كان ذكياً فهيماً بحيث أنه أتم حفظ القرآن في الثامنة . ويذكر عنه أيضاً أنه لم يكن ذا بصر وان كان ذا بصيرة . ويتحدث عنه كذلك فيقول إن عينه الظاهره كانت مقفلة ولكن عينه الباطنة كانت مفتوحه (١) .

وفي كلام مجمع الفصحا ما يبدو أنه كان كفيفاً في طفولته . ولم ينص المؤلف على أنه ولد بهذه العاهة . وفي هذا احتمال اصابته بالعمى بعد ولادته أي أثناء فترة الطفولة . ويقول في هذا الشأن صاحب مجمع الفصحا « على أي حال فقد كان مكفوفاً في أيام طفولته » (٢) .

وسعيد نفيسي ينكر الرأي الأول ويميل إلى الثاني . ويذكر نفيسي أن هناك من أشعار الرودكي ما يدل على أنه لم يولد أعمى (٣) . ومن هذه الأدلة التي يستخرجها نفيسي من أشعار الرودكي تلك التشبيهات التي ترى في شعره . فهو يشبه مثلا وجه الشمس الذي يبرز بين حين وحين من خلال السحب بالحبيب المحاصر الذي يتحين الفرصة ليفلت من الرقيب(٤) . ويشبه شقائق النعمان في حمرتها وهي تضحك في المزرعة من بعيد بكف العروس التي خضبت بالحناء (٥) . ويشبه فم المحبوبة بشفتيه الجميلتين الحمراوين بحبه رمان صغيرة انشطرت شطرين (٦) . وينكر سعيد نفيسي على أعمى أن يعرف هذا التشبيه الأخير . وفي موضع آخر يتحدث الرودكي فيذكر أنه رأى الشمس في الفجر عندما طلعت ، وأنها كانت تسرع من خراسان نحو الشرق (٧) .

---

(١) لباب الألباب : ص ٢/٦ ط ليدن

(٢) مجمع الفصحا : ١/٢٢٩

(٣) أحوال وأشعار رودكي : ٢/٥٥٠

(٤) خورشيد را ز ابر دمد روی كاه كاه — چونان حصاری كه كفر دارد از رقيب

(٥) لاله ميان كشت بخند همي زدور — چون پنجه عروس بحنا شده خضيب

(٦) وآن دهن تنك تو گوئی كمی — دانگكی نار بهر نيم كرد

(٧) مهر ديدم بامدادان چون بتافت — از خراسان سوی خاور ره شتافت

وينتهي نفيسي من هذه الأدلة ومثلها إلى أن الرودكي لم يولد أعمى ، وانما عمي في أواخر أيامه .

وممن اعتمد عليهم نفيسي في الوصول إلى هذا الرأي المنيني في شرحه على تاريخ اليميني الذي يقول ان الرودكي سئل في أواخر عمره (١) . وممن أيد هذا الرأي أيضاً بديع الزمان بشرويه خراساني (٢) .

ونناقش فيما يلي الآراء لنخلص إلى الرأي الذي نرجحه من بينها :

أما الرأي الأول والثاني القائلان انه ولد أعمى أو أصيب بهذه العاهة في طفولته فبعيد الاحتمال للأسباب الآتية :

ان المصادر الموثوق بها لم تجمع على هذا فلم يشر السمعاني في الأنساب ولا النظامي في چهار مقاله – وهو من أقدم المصنفات – إلى شيء من هذا .

كذلك كان الرودكي نديماً للأمير نصر . وأول ما يشترط في الندماء سلامة الأعضاء وصحة الحواس . ولا يعقل أن يتخذ الأمير نديماً فيه مثل هذا النقص ثم يكون له مع ذلك الشأن العظيم الذي كان للرودكي في البلاط . ويؤيدنا في هذا ما قاله صاحب مجمع الفصحا «وكان – أي الرودكي – معروفاً بحسن الصوت وعلم الموسيقى وبالصفات الحسنة التي كانت توهله لمنادمة السلاطين» (٣) .

وفي أشعار الرودكي – وسيرد نماذج منها فيما بعد – الدليل على أنه كان جميل الخلقة حتى ان النساء كن يملن اليه ، وكن يزرنه سراً متخفيات في ظلام الليل .

---

(١) شرح المنيني على تاريخ اليميني : ص ٥٢/١ ط مصر المعروف بالفتح الوهبي على تاريخ العتبي

(٢) سخن وسخنوران : ص ٢/١

(٣) مجمع الفصحا : ٢٣٦/١

ولم نجد فى أشعار الرودكى ما يشير إلى هذه العاهة . ومع أنه قد شكا السعادة المولية ، وانصراف الأمراء عنه ، وفقدان العافية ، وزوال النعمة إلا أننا لم نره يشكو من فقد البصر . وهذا يدل على أنه فقد بصره فى أواخر أيامه حين كف عن الانشاد وقارب الوفاة .

ويؤيد هذا أن الكلام عن عمى الرودكى لم يرد إلا عند الشعراء الذين عاصروا الرودكى فى أخريات أيامه أو جاءوا بعده كالدقيقى الذى يشير إلى ذلك فى قوله : «كان يجب أن يظل شهيد حياً ، وكذلك هذا الشاعر المظلم العين المضيء البصيرة حتى ينشدا فى مليكى المديح من أشعارهما العذبة ومعانيهما المتلألئة» (١) ، وكأبى زراعة المعمرى الجرجانى وكان من بين شعراء السامانيين أيضاً الذى يشير إلى عاهة الرودكى فى هذه الأبيات :

«إذا لم أنل ما بلغه الرودكى من الثراء فلا تعجب فانى لا أنل عنه فى قول الشعر وإذا كان قد رأى الدنيا وهو أعمى فلا أريد أن أكون أعمى من أجل الدنيا» (٢) .

شباب الرودكى :

كان الرودكى فى شبابه — كما يحدث هو عن نفسه — جميل الشكل ، حسن الخلقة . وفى هذا يقول موجهاً الكلام إلى محبوبته التى أسرفت فى الدلال :

كيف تعرف ياذا الوجه القمرى والشعر المسكى
ما كان عليه حالى فيما مضى من بهاء ورواء (٣) .

---

(١) استاد شهيد زنده بايستى — وآن شاعر تيره چشم روشن بين
قاشاء مرا مديح گفتندى — زا اشعار خوش ومعانى رنگين
(٢) اگر بدولت يا رودكى نيامانم — عجب مكن سخن از رودكى نه كم دانم
اگر بكورى چشم أو بيافت كيتى را — زبهر كيتى من كور بود نتوانم
(٣) همى چه دانى ماهروى مشكين موى — كه حال بنده ازين پيش برچه سامان بود

ويستفاد من أشعاره أنه كان حالك الشعر ، وكانت تتدلى منه خصل وطرر (١) وكان مشرق الوجه ناعم البشرة جميلا (٢) . وكانت أسنانه على درجة كبيرة من الصفاء كأنها المصباح المضيء أو الفضة والدر والمرجان(٣) ويظهر أنه كان — إلى جانب هذا — جميل العينين حتى أن عيون الحسناوات كانت تتحير فى حسنها بينما كانت عيونه هو تتحير فى جمال أولئك الحسناوات(٤). وعلى العموم كان يجمع إلى حسن الصورة حسن الصوت (٥). وطبيعى أن يجذب اليه هذا الحسن النساء اللاتى كن يملن اليه ويزورنه ليلا فى الخفاء وكن فى نظره شيئاً رخيصاً لسهولة الحصول عليهن (٦) . وكانت المودة بينه وبينهن متصلة وكانت أشعاره العذبة هى الرسائل المتبادلة بين الطرفين (٧) وكان فى ذلك الزمان السعيد ينفق وقته بين الخمائل مغنياً منشداً كأنه البلبل (٨) يلهو ويلعب حراً طليقاً من كل قيد فلم تشغله فى شبابه زوجة وبنون ولم يثقل كاهله ما يلزم الزوجة والبنين من كثرة النفقة (٩) . وكانت الحياة كلها فى نظره هى الغناء والخمر والنساء .

شيخوخة الرودكى :

ولكن الأيام لا تدوم على حال واحدة . والشاب الذى يتمتع بشبابه اليوم يتحول غداً شيخاً باكياً على مامر من شبابه . وهكذا تحول الرودكى من شبابه الذى تحدثنا عنه إلى شيخوخته التى نرى صورتها فى الأسطر القادمة

---

(١) بزلف چوكان فرزش همى كنى تو بسر — ندیدی آنکه اورا که زلف چوكان بود

(٢) شه آن زمانه که رویش بسان دیبا بود — شد آن زمانه که مویش بسان قطران بود

(٣) مرا بسود وفرو ریخت هرچه دندان بود — نبود دندان لابل چراغ تابان بود

(٤) بسا نکار که حیران بدی بدو در چشم — بروی او در چشم همیشه حیران بود

(٥) بحسن صوت چو بلبل مقید نظم — بجرم حسن چو یوسف اسیر زندانی

(٦) نبید روشن ودیدار خوب وروی لطیف — اگر کران به زی من همیشه ارزان بود

(٧) دلم خزانه پر گنج بود و گنج سخن — نشان نامه ما مهر وشعر عنوان بود

(٨) به آن زمانه ندیدی که درچمن رفتی — سرود کویان کوئی هزار دستان بود

(٩) عیال نه زن وفرزند نه متونت نه — ازین ستم همه آسوده بود وآسان بود

فالشعر الفاحم قد ابيض حين تقدمت به السن . أما الأسنان فقد تساقطت واحدة بعد أخرى ولم يبق منها شيء (١) وذلك الحسن والجمال الذى تحلى به فى شبابه كان ضيفاً عزيزاً لم تطل اقامته فذهب ولم يرجع (٢) . وتلك السعادة التى كان يتقلب فى أعطافها انقضت وخلفت مكانها الهم والغم (٣) . ثم ان المرأة والأولاد وكثرة النفقة قد أثقلت كاهله . وانصرف من حوله من كان يعجب بشعره من الأمراء والعظماء . وقد أثر تقدم السن فى نشاطه وحركته فهو يمدح الأمير أبا جعفر بشعره ولكنه لا يستطيع أن يشخص اليه لضعفه وعجزه (٤) . وزال عنه ما كان قد جمعه من مال وثروة ، وواجه الفقر فى هذه السن المتقدمة وذلك الضعف . وفى بيتين مؤثرين يذكر الشاعر مجال لهوه وأيام سعده ويتعجب مما حل به فيقول :

كم سعدت وثملت فى هذا البيت
وكان جاهى أعرض من جاه الأمراء والملوك

والآن هأنذا نفس ذلك الرجل والبيت هو نفسه وكذا المدينة
ألا تحدثنى كيف تحولت أفراحى أتراحاً(٥)

كيف اتصل ببلاط :

والآن بعد أن ذكرنا ما كان عليه الرودكى أيام الشباب ، وفرغنا من ذكر مجمل لما كانت عليه حياته الخاصة من لهو ومرح نحاول أن نعرف بعد ذلك شيئاً عما كانت عليه حياته العامة أو العملية وكيف بدأ اتصاله

---

(١) يكى نماند كنون زآن همه بسود و بريخت
(٢) چنانكه خوى مهمان وهوست برد عزيز — بشد كه باز نيايد عزيز مهمان برد
(٣) شد آن زمانه كه أو شاد بود وخرم بود — نشاط أو بفزون بود وبيم نقصان برد
(٤) پير فرتوت كشته سخت بودم
(٥) بسا كه مست دريق خانه بودم وشادان — چنانكه جاه من افزون بد از أمير وملوك
كنون همام وخانه همان وشهر همان — مرا نكوش كزيده شده است شادى سوك

فى ذلك الوقت ببلاط السامانيين حتى بلغ أخيراً ما بلغه من المكانة فى بلاط نصر بن أحمد .

لم تقدم لنا المصادر مادة كافية عن حياة الرودكى العامة قبل اتصاله ببلاط السامانيين . ولا يعدو — على أى حال — أن يكون قد اتخذ من انشاد الشعر ومزاولة فن الموسيقى صناعة له . ويرجح أن يكون الشعر الذى قاله فى هذه الفترة قليل الأهمية فلم يهتم به المؤرخون كما لم يعرف عنه على وجه التحقيق أنه اتصل بأمير البلاد أو عظيم من عظمائها فى هذه الفترة حتى يكون لشعره شأن .

وقد ولدت الدولة السامانية فى حوالى الوقت الذى ولد فيه الرودكى وعلى هذا يكون الرودكى قد عاصرها من مولدها حتى وفاته . وكانت عاصمة الدولة السامانية فى أول الأمر مدينة سمرقند حتى جاء اسماعيل بن أحمد فنقلها إلى بخارى . ويظهر أن الرودكى فى سعيه وراء المال والشهرة هاجر أولا من قريته رودك إلى سمرقند . فلما صارت العاصمة بخارى انتقل هو أيضاً اليها . ولا نعلم على وجه التحقيق أنه اتصل بالبلاط السامانى اتصالا وثيقاً فيما قبل عهد نصر . ويبدو لى أن الذى مهد له السبيل فى البلاط السامانى هو أبو الفضل البلعمى ، فقد كان أبو الفضل من الشخصيات المعروفة فى البلاط السامانى من أيام اسماعيل . واستمرت مكانته تعلو فى البلاط حتى ولى الوزارة فى عهد نصر . وكان من المعجبين بالرودكى . وفى نص أورده السمعانى أنه كان يقول عنه «ليس للرودكى فى العرب والعجم نظير» (١) وهذا النص يدعونا إلى الاعتقاد بأن أبا الفضل البلعمى كان داعية للرودكى فى البلاط من عهد اسماعيل فاستطاع أن يشق له الطريق حتى ثبتت أقدام الرودكى ، وتوطد مركزه فى البلاط أيام نصر . وهذا هو التدرج الطبيعى والخط الذى سار فيه الرودكى .

---

(١) السمعانى : ٢٦٢ ط مرجليوث ١٩١٢

ولا شك فى أن الرودكى يعترف بفضل البلعمى عليه حين يفضله على جميع الملوك ، ويشبه فضله بفضل الجوهر والياقوت على النقود الزائفة وذلك حين يقول :

مثل فضل الأمير أبى الفضل على جميع الملوك
مثل فضل الجوهر والياقوت على النقود الزائفة (١)

ولعل تعلق الرودكى بالبلعمى إلى هذا الحد كان سبباً فيما ناله من الامتهان فى أخريات أيامه بعد أن عزل البلعمى من الوزارة عام ٣٢٦ هـ/ ٩٣٨ م

ولم ينل أحد من معاصرى الرودكى من حظاء وأدباء المكانة السامية التى نالها هو فى البلاط السامانى . ولعل هذا راجع إلى أنه انفرد دونهم بالنبوغ فى عدة ميادين منها الغناء والموسيقى وسعة الثقافة .

شعر الرودكى :

لم يكن الرودكى أول من قال الشعر الفارسى بعد الاسلام فقد سبقه إلى هذا شعراء آخرون ، ولكن الرودكى نال دونهم هذا الاهتمام والشهرة لأنه أول شاعر كبير وصلنا الكثير من أشعاره . فحنظلة البادغيسى المتوفى فى حوالى ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، وأبو سليك الذى كان من معاصرى عمرو ابن الليث من ٢٦٥ — ٢٧٨ هـ / ٨٧٨ — ٨٩١م ، وشهيد البلخى الذى توفى قبل الرودكى ، وأبو العباس الربنجنى الذى عاصر نصر بن أحمد سنة ٣٣١ — ٣٤٣ هـ / ٩٤٢ — ٩٥٤ م وغيرهم لم يصلنا من أشعارهم سوى النذر اليسير الذى لا يكفى للدراسة . ومن هنا جاءت أهمية الرودكى فى تاريخ نشأة الشعر الفارسى الاسلامى . وإلى هذا يشير دولتشاه فيقول : «ولم نسمع قبله شاعراً صاحب ديوان . ومن ثم وجب أن نبدأ بالرودكى»(٢).

---

(١) جر فضل مير أبو الفضل برهمه ملكان جر فضل كوهر وياقوت بر بنهره پيشير
(٢) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨

وحين رأى الرواة ومؤرخو الأدب أن الرودكي هو الشاعر الوحيد من هذا العصر الذي بقيت له هذه المجموعة الطيبة من الأشعار قادهم الاستنتاج إلى أن الرودكي لابد أن يكون قد قال من الأشعار شيئاً كثيراً جداً بالغوا في عدده . وهم معذورون في هذا لأنهم رأوا أن شهيدا البلخي — وكان شاعراً عظيما ومعاصراً للرودكي — لم يبق من أشعاره سوى أبيات قليلة ، وأن أبا العباس الربنجني وكان من شعراء هذا العصر المعروفين — لم يبق من أشعاره سوى أبيات معدودة تفرقت في بعض كتب اللغة مثل «لغت فرس» لأسدي طوسي .

والمحقق على أي حال أن الرودكي قال شعراً كثيراً لم يرد الينا منه سوى جزء ضئيل . ويكفينا في هذا المقام أن نورد عبارة أحمد رازي الذي قال «ومع أن شعره — أي الرودكي — قد تجاوز الحد والعد إلا أنه في هذا الوقت — أي وقت أحمد رازي — قد صار نظراً لقلته أعز من الياقوت الأصفر والكبريت الأحمر» (١) فاذا كانت هذه هي قلة أشعار الرودكي في عهد أحمد رازي (٢) فكيف بها فيما تلاه من العهود ؟

أما لماذا لم يصلنا من هذه الأشعار قدر أوفر رغم ما كان للرودكي من المكانة الأدبية فهذا يرجع فيما أرى إلى أن جمع هذه الأشعار وتدوينها جاء في عصر متأخر مما أدى إلى ضياع بعضها ، وإلى اختلاط بعضها الآخر بأشعار قطران .

كان قطران هذا من شعراء العصر السلجوقي واسمه أبو منصور قطران التبريزي نسبة إلى تبريز التي ولد بها واشتهر وقد اتصل بكثير من حكام آذربيجان وعمال تبريز وأخصهم أبو منصور وهسودان بن مملان الذي ظل

---

(١) أحمد رازي : هفت اقليم ورقة ٥٣٨ (مخطوط)

(٢) كان أحمد رازي من أهالي الري . وبرز كثير من أفراد أسرته في ميدان الأدب كما تولى بعضهم مناصب رفيعة وكان أبوه خواجه ميرزا أحمد من المقربين إلى الشاه طهماسب الصفوي (٩٣٠ - ٩٨٤هـ/١٥٢٤ - ١٥٧٦م) .

حاكماً على تبريز إلى حدود سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م وابنه ملان المعروف بأبي نصر . وفي سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م عين أبو نصر ملان حاكماً على آذربيجان من قبل طغرل بك ، وقد صحبه قطران ونال منه الصلات والعطايا التي أطلقت لسانه بالمديح في قصائد كثيرة . وكان التشابه في الاسم بين ممدوح الرودكي نصر بن أحمد ، وبين ممدوح قطران أبي نصر سبباً في اختلاط الأشعار .

ويذكر «دينسن روس» D. Ross في مقالته التي كتبها بالمجلة الآسيوية عن ديوان الرودكي المنسوب اليه (٢) أن النسخ المعروفة منه ثلاث اثنتان في المتحف البريطاني (٢) والثالثة عنده . ويذكر أن شكه في صحة نسبة هذه الأشعار تولد عندما وجد أن القصيدة الأولى في هذه المجموعة هي نفسها القصيدة التي كان «شفر» قد نشرها في الجزء الثاني من المنتخبات الفارسية Chrestomathie Persane ونسبها هناك إلى قطران . كما أنه — أي روس — وجد فيما بعد في نسخته الخاصة من ديوان الرودكي المرثية التي كان قطران قد قالها بمناسبة الزلزال الكبير الذي حدث في تبريز سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م . وقد نشرها أيضاً «شفر» وهذه الأدلة تكفي وحدها كما يرى روس لتقرير أن ما جاء في هذه المجموعة من أشعار الرودكي نسب اليه خطأ .

ولروس رأي آخر في هذا الخلط بين أشعار الرودكي وقطران فهو يرى أن هذا الخلط قد حدث قصداً لا عفواً ، ذلك أن رجلا من أهل الأدب الفرس قد عز عليه أن يجد ما بقي من أشعار الرودكي قليلا فانتقى أحسن ما في ديوان قطران من القصائد التي تحوي اسم أبي نصر وضمها إلى القصائد القليلة الباقية للرودكي التي لم يرد فيها اسم ممدوح الرودكي نصر بن أحمد . وهكذا جمع هذا الرجل للرودكي ديواناً (٣) .

---

(١) عدد المجلة الآسيوية الصادر في أكتوبر ١٩٢٤ وموضوع المقالة «الرودكي والديوان المنسوب اليه» .

(٢) Or 7894 — Or 3246

(٣) المجلة الآسيوية : أكتوبر ١٩٢٤ مقالة روس ص ٦١٦ J. R. A. S.

وإذا جاريتا روس فى استنتاجه فالمعقول أن نحدث هذا الخلط عفواً لا قصداً . والأرجح أن ذلك الذى نسب أشعار قطران إلى الرودكى كان مدفوعاً بدافع من الاجتهاد حين رأى أن هذه القصائد قد ورد فيها اسم أبى نصر ولم يرد فيها اسم ممدوح غيره ، فظن مجتهداً أنه نصر ممدوح الرودكى . ومن هنا يكون الخلط عفواً . ولست أتبين من كلام روس وجه المصلحة فى أن ينسب هذا الرجل قصائد قطران إلى الرودكى وهو عالم حقاً بما يفعل .

وهذا الرأى الذى رأيته من أن هذا الخلط قد جاء عفواً يؤدى بى إلى الاعتقاد بأن أشعار قطران هذه التى نسبت إلى الرودكى لم يكن أمر نسبتها إلى قطران مؤكداً ، ولم يعرف أهل الأدب صاحب هذه الأشعار معرفة مؤكدة وهذا هو السبب الذى حمل بعض أهل الاجتهاد على نسبتها إلى الرودكى .

المدح عند الرودكى :

وما دام الرودكى شاعر بلاط فلابد أن يكون المديح هو الفن الأول والأون الأغلب فى شعره .

وشخصية الأمير هى أولى الشخصيات التى يوجه اليها الشاعر مدحه . ولكننا بالأسف لم نعثر له إلا على أبيات محدودة يمكن أن نطمئن إلى أنه قد مدح الأمير بها حقاً . وليس هناك أى دليل يدلنا على أن الأبيات الأخرى التى وردت فى المدح انما عنى الشاعر بها الأمير نصر بن أحمد لا من سياق الحوادث ولا من نفس النص . والغريب أن الشاعر قد بقيت له قصيدة طويلة فى مدح أبى جعفر — الذى كان حاكم سيستان من قبل الأمير — وسيرد الكلام عنه . ويمكن أن تكون العوامل السياسية سبباً فى قلة ما بقى من أشعار الرودكى فى مدح الأمير نصر ، فقد كان نصر بن أحمد علماً على نهضة دولة سياسياً وأدبياً . ومن المحتمل أن يكون سقوط دولته بعد ذلك وانتصار أعدائه سبباً فى اخفاء ما كان له من مناقب وما قيل فيه من مدائح ، كما أن نصراً الآخر — أعنى نصر بن مملان ممدوح قطران — كان سبباً هو الآخر

لتشابه الاسم فيما وقع فيه الرواة والمؤرخون من الخلط الذى أدى إلى الامتزاج بين مدائح الممدوحين .

ومن الشخصيات البارزة التى مدحها الرودكى شخصية الأمير أبى جعفر حاكم سجستان . ولقد بقيت للرودكى قصيدة طويلة فى مدحه تعد من أطول وأروع ما وصلنا من قصائد الرودكى مما يدل على مكانة الرجل وعظيم أهميته فى الدولة وقتذاك . ويقول حمدالله المستوفى عنه ما مؤداه أن الأمير نصراً رأى يوماً فى هراة شاباً جميلا عليه أمارات العظمة فسأله عن اسمه وعن أصله وأمنه على نفسه فقال إن اسمه أحمد وأصله من بنى ليث فرق قلب الأمير نصر لحاله ، وطيب خاطره ، ومنحه الأموال ، وزوجه احدى قريباته وولاه امارة سجستان وبقيت امارة سجستان حتى النهاية فى عقبه (١) .

وقد كتب عنه « تاريخ سيستان» بعض التفصيلات يمكن أن نخرج من مجملها بأنه ينتمى إلى بنى ليث ، وأنه ولد يوم الاثنين لأربعة بقيت من شعبان سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م . وكان له عقل الشيوخ وكانت تبدو عليه أمارات العظمة ، وقد حصل كثيراً من العلم . فلما ثار أهالى سجستان على واليهم عزيز بن عبد الله حل محله فى الولاية وكان ذلك سنة ٣١١ هـ . وازدادت على مر الأيام محبة الناس له ، وقيل انه كان على درجة من الشجاعة لا تدانى حتى استطاع التغلب على أعدائه الكثيرين أمثال عزيز بن عبد الله .

وكان يوزع وقته بين الجد واللهو ، فجعل وقتاً للصلاة والتلاوة ، ووقتا للهو والشراب ، ووقتا لتصريف أمور الملك ، ووقتا للراحة والاستجمام .

وكان من أعداء الدولة الخطرين الذين استطاع أبو جعفر أن يتغلب

---

(١) تاريخ گزيده : ٣٨٢ ط . براون ١٩١٠

عليهم ما كان بن كالى . وقد احتال عليه أبو جعفر حتى استطاع رجاله أن يقبضوا عليه ويحضروه اليه فى سجستان ويحملوا خزائنه وأمواله .

ولما وصل إلى الأمير نصر خبر ظفر أبى جعفر بما كان أعجب بهمته وشجاعته . وأرسل اليه هدايا عظيمة .

وكان الرودكى قد قال شعراً فى هذه المناسبة وأرسله اليه لعجزه عن الذهاب بنفسه ولتقدم سنه فى ذلك الوقت .

وقد قتل أبو جعفر بيد جماعة من خدمه اتفقوا على ذلك وكان مقتله ليلة الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة للهجرة (١)

والمديح من أقدم فنون الشعر الفارسى الاسلامى . ذلك لأن هذا الشعر نشأ فى كنف القصر والبلاط فكان طبيعياً أن يتجه الشاعر أول ما يتجه إلى مدح الملك الذى يرعاه ويرعى غيره من الشعراء ويفسح لهم فى بلاطه وقصره . وقد برز الرودكى فى هذا الميدان ـ ميدان المديح ـ وشهد له غيره من الشعراء بالاجادة والتفوق . وكان الرودكى يعرف لنفسه هذا التفوق حتى انه كان يقرن نفسه بجرير والطائى وحسان وسحبان .

وفيما يأتى نماذج من شعره فى مدح الأمير نصر :

يقول الرودكى (٢) :

أنت فى السخاء حاتم الطائى
وأنت فى المعركة رستم دستان (٣)

لا . ليس حاتم جواداً إذا قيس بك
لا . وليس رستم رجلا إذا تحارب معك (٤)

---

(١) تاريخ سيستان : ٣١٠ — ٣٢٦ نشر بهار
(٢) أحوال وأشعار رودكى : ٣/٩٨٨
(٣) حاتم طائى تورا اندر سخا رستم دستان تورا اندر نبرد
(٤) نى كه حاتم نيست باجود تو راه نى كه رستم نيست درجنك تو مرد

ومن أبيات أخرى له يرجح أن تكون فى مدح الأمير قوله (١)

ليعش طويلا ذلك الملك العظيم
لتكن روحى رهينة روحه (٢)

ليس بين الملوك شاب مثله
حر فصيح جسور عاقل (٣)

لايقدر أحد مدى شجاعته
ولايعلم الناس مبلغ كرمه (٤)

يده تنثر الذهب ولسانه يفيض بالدر
لم يلدع اشمه فى الدنيا عبثاً (٥)

مهما يجتهد الشعراء فى المديح
فلن يقدموا الأشعار إلى مثيل له (٦)

من يرغب فى الدنيا الهزيمة والشقاء
سوى حاسد للأمير على نعمته (٧)

ايها الملك لتدم لك من أحبابك المحبة
أيها الفلك لتضحك دائما من حال أعدائه (٨)

آخر شعرى ذلك الذى قلته أولا
ليعش طويلا ذلك الملك العظيم (٩)

---

(١) أحوال وأشعار رودكى : ٣/٩٨٩

(٢) دير زياد آن بزركوار خداوند — جان كراى بجانش اندر پيوند

(٣) از ملكان كس چنو نبود جوان — راد وسخندان وشير مرد وخرد مند

(٤) كس نشناسد هى كه كوشش أوچون — خلق ندانند هى كه بخشش أوچند

(٥) دست وزبان زر ودر پراكند أورا — نام بكيتى نه از كران پراكند

(٦) كرچه بكوشند شاعران زمانه — مدح كسى راكسى نكويد مانند

(٧) كيست بكيتى خير مايه ادبار — آنكه باقبال أو نباشد خرسند

(٨) أى ملك ازحال دوستانش هى ناز — أى فلك از حال دشمنانش هى خند

(٩) آخر شعرآن كه كه أول كفتم — دير زياد آن بزركوار خداوند

أما قصيدته فى مدح أبى جعفر فطويلة تكتفى منها بالمجموعة الآتية من الأبيات. يقول الرودكى(١)

لم يخلق من نسل آدم له مثيل
وإذ صدقت فلن يكون له نظير (٢)

الخلق من تراب وماء ونار وريح
وهذا الملك من بريق جوهر ساسان (٣)

إذا كنت فصيحاً فاذكر مناقبه كلها
وإن كنت كاتباً فاتل مدائحه كلها (٤)

ذلك الذى إذا نظرت اليه نطقت بالحكمة
هذا هو سقراط اليونان وأفلاطونها (٥)

وإن كنت فقيها تميل إلى الشرع
فهو الشافعى وأبوحنيفة وسفيان (٦)

يزداد منه أهل الأدب عقلا وحكمة
ويزداد منه أهل العقل أدباً وإيماناً(٧)

لو رآه وقت الحرب اسفنديار
لجرى واثباً مضطرباً أمام سنانه (٨)

ولو نازله فى المعركة اله الحرب
أراهن أنه سيتحول غذاء لسيفه (٩)

---

(١) أسوال وأشعار رودكى: ٣/١٠١١

(٢) آنك نبود از نژاد آدم چون او — نيز نباشد اكر نكوئى بمثل

(٣) خلق زخاك وز آب وآتش وبادند — وين ملك از آفتاب كوهر ساسان

(٤) كر تو فصيحى همه مناقب أو كوى — ور تو دبيرى همه مدايح أو خوان

(٥) آنك بدو بنكرى بحكمت كوئى — اينك سقراط وهم افلاطون يونان

(٦) ور تو فقيهى وسوى شرع كرائى — شافعى اينكت وبو حنيفه وسفيان

(٧) مرد أدب را خرد فزايد وحكمت — مرد خرد را أدب فزايد وإيمان

(٨) ورش بديدى سفنديار كه رزم — بيش سنانش جهان دريدى ولرزان

(٩) ور ببرد آيدش ستاره بهرام — توشه شمشير او شود بكروكان

وحسين يجلس للشراب
يجود بما لايجود سحاب الربيع بمثله (١)

إذا قيست عطاياه التي يمنحها بالكفين
بالطوفان لبدا أمر الطوفان تافهاً (٢)

لاجرم أن جعل جوده وسخاؤه
المدح غالياً والذهب رخيصاً (٣)

يقصده الشاعر فقيراً خالي اليد
فيرجع بالذهب الكثير والأحمال(٤)

وحين يعدل بين الخلق
لاترى في الدنيا مثله نبيلا مساما (٥)

يشمل عدله الضعيف والقوي على السواء
ولاترى منه جوراً ولا عدوانا (٦)

لقد بسط نعمته على الدنيا كلها
فلاترى رجلا عارياً من نعمته (٧)

كل بائس في الدنيا يجد عنده الراحة
وكل مريض في العالم يجد عنده العلاج (٨)

---

(١) باز بد آنكه كه ى بدست بكيرد ابر بهارى جنو نبارد باران
(٢) بدو كف أو زيس عطاكه ببخشد خوار نمايد حديث وقصه طوفان
(٣) لاجرم از جود واز سخاوت أويست برخ كرفته مديح وسامت ارزان
(٤) شاعر زى أو رود فقير وتهى دست با زر بسيار باز كردد وخندان
(٥) باز بهنكام داد وعدل بر خلق نيست بكيتى جنو نبيل ومسلمان
(٦) داد بيابد ضعيف هجو قوى روى جور نبيني بزد او نه عدوان
(٧) نعمت او كسترده برهه كيتى تجه كس از نعمتش نبيني عريان
(٨) بسته كيتى ازو بيابد راحت مبتلا كيتى ازو بيابد درمان

أى رودكى اطومدح كل الخلق
وترنم بمدحه ونل عطاءه (١)

هذا هو مدحى الذى بلغته جهدى
لفظة عذب كله ومعناه أيضاً سهل (٢)

يعجزنى أن أنشد الأمير مايليق به
مع أنى فى الشعر جرير والطائى وحسان(٣)

طالما شكوت ماظهر من عجزى فى مدحه
ولو أنى فى الفصاحة قرين سحبان (٤)

لاتعجب إذا أصبح الرودكى فى مثل هذا المقام
مبهوتاً وبقى ساكناً حيران (٥)

لتسدم دولة أميرى فى ارتفاع وازدياد
ولتدم دولة أعدائه فى انخفاض ونقصان (٦)

وإذا راجعنا أشعار الرودكى فى المديح وأخصها قصيدته التى أوردناها له فى مدح الأمير أبى جعفر نلاحظ :ـ

١ ـ البعد عن الإغراق فهو يصف ممدوحه بكثير من الصفات الحسنة التى هى فى حد ذاتها طبيعية ومعقولة . وقلما نرى فيها شيئاً من الاستحالة بالنسبة للبشر فهو يقول عن ممدوحه مثلا إنه كالشافعى فى الفقه وانه يشبه سقراط وأفلاطون فى الحكمة ، وإنه شجاع لايرى فارس مثله فى الشجاعة .

---

(١) رودكيا بر لودد مدح همه خلق — مدحت او كرى ومهر دولت بستان
(٢) اينك مدحى جنانكه طاقت من برد — لفظ همه خوب ومعنى آسان
(٣) جز بستوار آر مير كفت ندانم — ورجه جريرم بشعر وطائى وحسان
(٤) سخت شكوهم كه عجز من بنايد — ورجه حريفم ايا فصاحت سحبان
(٥) نيست شكفتى كه رودكى بچنين جاى — خيره شود بى زوان وماند حيران
(٦) دولت ميرم هميشه باد بر افزود — دولت أعداى او هميشه بنقصان

٢ — البعد عن الإغراق ، والميل إلى البساطة كثيراً ماأدى بالشاعر إلى أشياء تافهة . من ذلك مثلا قوله :—

لورأيته يوم الموقعة والخصام والحمية
لرأيته بين المغفر والدروع (١)

وهذا شيء طبيعي . وهو معلوم . ومن اللغو مدح الممدوح به لأن المحارب —أيا كانت مكانته— لابد أن يرى فى مثل هذه الأشياء يوم الموقعة . وكيف يحارب مالم يكن مجهزاً بمثل هذه الأدوات .

٣ — من أبرز مافى مدائح الرودكى البساطة التى يراها خير وسيلة للتعبير عما فى نفسه من اخلاص للممدوح يدفعه إلى ارسال الكلام على سجيته دون تكلف فى المعانى أو الألفاظ ، فيصدر الكلام من قلبه ليقع فى قلب قارئه أو سامعه رغم خلوه من مظاهر التفنن فى القول والتنميق فى الكلام . أنظر مثلا إلى أشعاره التى وجهها للأمير فى هراة يبين فيها محاسن بخارى ليثير فيه الشوق اليها ويدفعه بذلك إلى الرحيل عن هراه التى أطال فيها المقام تجده يقول :

بابخارى أمعدى وعيشى طويلا
وليأت اليك الأمير سعيداً دائماً
الأمير قمر وبخارى هى السماء
والقمر نحو السماء يتجه دائماً
الأمير سرو وبخارى هى البستان
والسرو ينمو فى البستان دائماً (٢)

---

(١) بار بروز نبرد وكين وحيث — كرش بيني ميان مغفر وخفتان
(٢) اى بخارا شاد باش ودير زى — مير زى تو شادمان آيد هى
مير ماهست وبخارا آسمان — ماه سوى آسمان آيد هى
مير سرو است وبخارا بوستان — سرو سوى بوستان آيد هى

فأى معان أبسط من هذه ؟ وهى مع هذه البساطة البادية تنفذ إلى قلوبنا بسهولة ذلك لأنها خرجت من قلب صاحبها فأرسلها على لسانه تعبيراً بسيطاً صادقاً دون أن يضيف اليها شيئاً من الزينة أو الصناعة فى لفظ أو معنى .

ولعل هذه البساطة هى التى أثارت دهشة أولئك الذين ينظرون إلى الشعر على أنه معرض من معارض الزينة والتجميل والصناعة الفنية . ويتحدث دولتشاه عن هؤلاء فيقول : «وينظر العقلاء فى دهش إلى هذه الحكاية العجيبة فان هذا النظم ساذج وهو خال من البدائع والصنائع والمتانة ، ولو كان غيره قاله فى مجلس السلاطين لقوبل بالانكار من العلماء ، ولكن هذه الأشعار قد لقيت القبول لأن الرودكى عرضها مع الغناء والألحان والموسيقى» (١) . والحكاية العجيبة التى يشير اليها دولتشاه هى تأثر الأمير نصر تأثراً شديداً حين سمع هذه الأبيات حتى هب من مجلسه قاصداً بخارى (٢) . وهؤلاء الذين لم ترقهم بساطة هذه الأبيات وسهولة ألفاظها يحاولون تعليل شدة وقعها فى نفس نصر وسامعيه بما صحبها من موسيقى وألحان . ولكنهم فى الحقيقة ينسون أن جمالها يرجع أساساً إلى هذه البساطة التى عابوها وإلى ما فيها من صدق العاطفة وبراءة الشعور . ولعل هذه البساطة والصدق هى التى طوعت النجاح للأغنية بعد أن أضيف اليها اللحن والأداء .

ومن أمثلة هذه البساطة أيضاً قوله :

لتطل حياة هذا السيد العظيم
فقد ارتبطت روحى العزيزة بروحه (٣)

فأى بساطة أجمل من هذه وأبلغ ؟ فهو يدعو للممدوح بطول الحياة لأن حياة الشاعر ارتبطت بحياة الممدوح . ولا شك فى أن الشاعر يحرص

---

(١) تذكرة الشعراء : ١٨ .

(٢) راجع بحثنا «تعليقات على بعض الاشارات الفارسية فى الأشعار العربية» ص ٩٧ مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية المجلد ١٨ سنة ١٩٦٤ .

(٣) دير زياد آن بزركوار خداوند جان كراى بجانش انعر ببرند

على حياته وطولها كل الحرص . ومن هنا جاء دعاؤه للممدوح بطول العمر بسيطاً غاية البساطة صريحاً غايه الصراحة .

وقوله وفيه صدق عاطفة وبساطة تعبير :

يامن تتعلق بروحه أرواح الملوك
لا أرانا الله مكروهاً قبلك (١)

الخمر عند الرودكي :

أهم ما جاءنا من خمر
والقسم الأول من هذه القصه
عن القسم الثاني الخاص بالمد
تكلمنا عن المدح عند الرود
بالقسم الأول من القصيدة و

ومطلع هذه القصيدة ،

مادر مى ،
بچه اورا

وترجمه الحرفية : «لابد أن
وتسجنه ، وأم الخمر هنا هى ا
منها ، والسجن هنا كناية عن الدن
فهو يقول إذا أردت أن تحصل ع
وتنزعها من مصدر حياتها وهو شجره الكرم ثم تعصرها وتضع عصيرها في الدن .

(١) اى جان خداوندان برجان تو بيوند — مكروه تو مارا مبياد خداوند
(٢) أمثال وأشعار رودكي : ٣/١٠٠٨

وإذا نظرنا إلى هذه القصيدة ، أو هذا الجزء الخاص بالخمر ، وجدناها في مجملها شيئاً بعيداً عن الشعر بمعناه الفني الانساني . فالشاعر في هذا الجزء من القصيدة يشبه أن يكون خماراً يشرح لنا في تفصيل ودقة عملية صناعة الخمور . «فالعناقيد تعصر ليستخرج ما فيها من عصير يوضع في الدنان حقبة طويلة من الزمن . ولا يصح أن يستخرج العصير من العنب قبل أن يمضي عليه — أي العنب — سبعة أشهر كاملة ليكون تام النضج وفير العصير وإذا انقضت هذه المدة ونضج العنب جاز لك أن تعصر العناقيد وتستخرج العصير منها وأن تضعه في الدن ليتحول خمراً . وقد عبر عن الدن في أحد الأبيات بالسجن الضيق . ويشرح لنا الشاعر عملية تخمير العنب وكيف يتحول خمراً ، فالعصير يوضع في الدن مدة . وهو في هذه المدة الأولى هادىء ساكن وقد عبر عن هذا بقوله انه يبقى مشدوهاً حيران لأنه لم يألف المكان بعد الذي وضع فيه ثم لا يلبث هذا العصير حتى يضيق بسجنه محاولا الثورة عليه فيأخذ بعد فترة في الحركة والاضطراب والفوران فيرتفع سافله وينخفض عاليه ويستمر كذلك فترة أخرى كأنه جمل هائج غطت الرغوة فمه من شدة الغضب . ويأتي صانع الخمر بعد ذلك — ويعبر عنه بالحارس لأنه يحرس ذلك السجين في سجنه — فيأخذ الرغاوى حتى يزول ما في العصير من كدر ويصبح صافياً . وأخيراً عندما يستقر السجين — أي العصير — ويهدأ في سجنه — أي الدن — يحكم الحارس سد باب السجن . وحين يسكن العصير تماماً يصبح صافياً ويشبه في لونه الياقوت الأحمر والمرجان . والخمر أنواع منها ما هو أحمر كالعقيق اليماني ومنها ما يشبه في الحمرة ياقوت بدخشان وإذا شممته خيل اليك أن الورد الأحمر قد أعاره رائحته وكذا المسك والعنبر . وهكذا تسير الخمر في الدن إلى الربيع الجديد ومنتصف نيسان . فاذا أقبل الربيع وهو وقت المتعة واللهو والشراب أطلق الحارس سراح السجين ، وفتح الخمار فوهة الدن ، وسكب مما فيه من خمر صافية متلألئة كأنها عين الشمس المتوقدة . واذا ذاق هذه الخمر اللئيم غدا حراً وأضحى الضعيف شجاعاً شجاعاً وإذا ذاقها مصفر الوجه الوجه توردت وجنتاه ، ومن شرب في سرور قدحاً منها لم يعرف الأحزان بعد ذلك ولا التعب ، وهي تطرد كثيراً

من الأحزان وتجلب ألواناً جديدة من السعادة . ومثل هذه الخمر المعتقة إذا شرب منها الانسان نسي نفسه وفقد وعيه .

ومثل هذه الخمر تقدم في مجالس أعدت إعداداً خاصاً . ويجب أن يزود المجلس بكل أسباب البهجة والمتعة . يجب أن يهيأ بالورد والياسمين والرياحين المشهورة ، وأن يرتدي الندماء الملابس الذهبية ، وأن يتخذ له الفرش الجديدة والأرائك الكثيرة الوثيرة ، وأن تتوفر فيه آلات الموسيقى ووسائل الطرب من بربط وصنج وناي وشعر . وفي مثل هذا المجلس الملكي يتصدر أمير خراسان ، ويصطف أمام العرش آلاف الغلمان ، من الأتراك الحسان ، كأن كل واحد منهم قمر في ليلة التمام . ويتوج كل واحد من هؤلاء الغلمان رأسه بأكاليل من الآس . أما الساقي فغلام بديع التكوين أسود العينين ، ملائكي الوجه ، وقامته كشجرة السرو . وحين تدور في حبور كئوس الخمور يمشي مليك الدنيا سعيداً مسروراً ضاحكاً (١) .

بين الرودكي وأبي نواس :

وهناك شاعر عربي آخر من خبراء الخمر هو أبو نواس الذي يحدثنا عن هذه العملية نفسها فيقول :

وصفقوها بماء النيل إذ برزت	في قدر مس كجوف الجب روحاء
حتى إذا نزع الرواد رغوتها	وأقصت النار عنها كل ضراء
استودعوها رواقيدا مزفتة	من أعبر قائم منها ، وغبراء
وكم أقرامها دهراً على ورق	من حر طينة أرض غير ميثاء
وعمرت حقباً في الدن لم يرها	حي من الناس في صبح وامساء
حتى إذا سكنت في دنها وهدت	من بعد دمدمة منها وضرضاء
جاءت كشمس ضحى في يوم أسعدها	من برج لهو إلى آفاق سراء
كأنها ولسان الماء يقرعها	نار تأجج في آجام قصباء

(١) اكتفينا هنا بترجمة الأبيات دون اثبات نصها لطوله

ومن مقارنة أبيات الشاعرين ترى أن أبا نواس قد عبر عن نفس المعنى ولكن فى صورة أوضح ، ومعنى أبسط وان كان الشاعر الفارسى قد فصل وأطال . أنظر مثلا إلى بيت أبو نواس .

حتى إذا سكنت فى دنها وهدت من بعد دمدمة منها وضوضاء
جاءت كشمس ضحى فى يوم أسعدها من برج لهـو إلى آفاق سراء

تجد أن الشاعر الفارسى قد عبر عن هذين البيتين بمجموعة من الأبيات يقول فيها : «وأخيراً عندما يستقر العصير ولا يثور مرة أخرى يحكم الصانع سد الباب . وبعد فترة يسكن تماماً ويصفو ويشبه فى لونه الياقوت الأحمر والمرجان ، ويحكى فى رائحته الورد الأحمر والمسك والعنبر . وهكذا تبقى الخمر فى الدن إلى أن يأتى الربيع الجديد . وعندئذ إذا فتحت الدن فى منتصف الليل رأيت عين الشمس المتوقدة» (١) وهذا راجع إلى الفرق فى طبيعة الأسلوبين العربى والفارسى ، وطريقة الشاعرين فى التعبير عن المعنى .

ومما ورد فى هذه القصيدة مشتركاً فى المعنى مع بعض أشعار أبى نواس قول الرودكى :

من يشرب فى سرور قدحاً منهـا
لا يرى التعب بعد ذلك ولا الأحزان (٢)

تطرد حزن سنوات عشر إلى طنجة
وتجلب سعادة جديدة من الرى وعمان (٣)

---

(١) آخر كارام كبرد وتخجد نيز — درش كنه استوار مرد نكهبان
چون بنشيند تمام وصافى كردد — كوئى ياقوت سرخ كبرد ومرجان
چند أزو سرخ چون عقيق يمانى — چند زو لعل چون ولكين بلنشان
وروش ببرق كان برى كه كى سرخ — بوى بنر داد ومشك وعنبر يريان
هم بخم اندر هى كذارد چرتين — تابكه نو بهار وتيمه نيسان
آنكه اكر نيم شب درش بكشائى — چشمه خورشيد را ببينى تابان

(٢) وآنك بشادى يكى قدح بخورد زوى — رنج نبيند از آن فراز وته احزان

(٣) انده ده ساله را بطنجه ومانه — شادى نو را ز رى بيارد وعمان

يريد أن يقول إن الخمر تطرد من الهموم شيئاً كثيراً كأنها هموم عشر سنوات إلى مكان قصي لا ترجع منه مثل طنجة التي هي في أقصى الغرب كما أنها تولد في الانسان أنواعاً من السعادة لا تتيسر له عادة لبعدها عن متناول يده . أي أن الخمر تذهب الحزن إلى أقصى مكان وتجلب السعادة من أقصى مكان . والري وعمان بلدتان في الشرق قابل بهما طنجه التي هي في أقصى الغرب للبعد الشاسع بينهما . وهذا المعنى يشبه قول أبي نواس :

فقلت أدنها تنأ الهموم لقربها
فتنقلها من دار قرب إلى بعد

وهذه العبارة النواسية «من دار قرب إلى بعد» فصلها الرودكي التفصيل الذي شرحناه فيما سبق ، فحدد قدر الحزن الذي تطرده الخمر كما حدد بعد المسافة .

ومن المعاني المشتركة كذلك بين الشاعرين قول الرودكي :

خمر عقيقية من رآهـا
لم يفرق بينها وبين عقيق مذاب

فكل منهما من جوهر واحد لكن
هذا تجمد وذا الآخر ذاب (١)

وقول أبي نواس في نفس المعنى :

أقول لمـا تحاكيـا شبهـا ... أيهمـا للتشـابه الذهب
هـا سـواء وفرق بينهما ... أنهما جامد ومنسكب (٢)

---

(١) وآن عقيقين مى كه هر كه بديد ... از عقيق كداخته نشناخت
هر دو يك كوهرند ليك بطبع ... اين يفسرد وآن دكر بكداخت

(٢) ديوان أبي نواس .

ومما اشترك بينهما قول الرودكي :

لونت يدى الانسان قبل أن تمس
وأسرعت إلى العقل قبل أن تذاق (١)

وقول أبي نواس :

كأن بنان ممسكها أشيمت
خضابا حين تلمع فى الزجاج (٢)

وقول الرودكي فى صفاء الخمر :

هات تلك الخمر التى تشبه الياقوت الصافى
أو تشبه وهج السيف جرد فى ضوء الشمس (٣)

يشبه قول أبي نواس فى هذا المعنى :

من قهوة كالعقيق صافية عادية العمر ذات اسلاف
كأن فى لحظ عين مازجها إذا اجتلاها بريق أسياف (٤)

ومن أبيات الرودكي اللطيفة فى الخمر قوله :

لو انصبت قطرة من تلك الخمر فى النيل
لظل التمساح ثملا من رائحتها مائة سنة

ولو شرب الغزال فى الصحراء قطرة منها
لصار أسداً كاسراً لا يبالى بالنمر

---

(١) نابرده دو دست ونكين كرده ناچشيده تبارك اندر تاخت
(٢) ديوان أبي نواس .
(٣) أسوال وآثار رودكي : ٣/١٠٢٨
(٤) ديوان أبي نواس .

والحكم على هذا الفن عند الرودكي عسير فلم يصلنا فيه سوى أبيات معدودة مفرقة لا تمكن من الحكم الصحيح . ولكنها على أى حال تعطينا فكرة عن اتجاه الشاعر فى هذا الفن .

وتبين لنا أشعار الرودكي الغزلية أن المرأة عندهم كانت من وسائل المتعة واللهو والظرف ، ولم تكن مصدراً لعاطفة حقيقية .

وفى كثير من أشعار الرودكي نجد الخطاب موجهاً إلى امرأة كما ورد فى قصيدته التى يشكو فيها الزمان ويتحسر على شبابه(١) . وليس لهذه المرأة وجود حقيقى ، فهى متخيلة على الطريقة العربية إذ كان الشاعر العربى يتخيل أمامه محبوبة يخاطبها أو زوجة تحثه على الاقتصاد وهو يأبى إلا أن يكون جواداً متلافاً .

والمرأة عند الرودكي كائن مادى يعنى أنه ينظر اليها باعتبارها جسداً جميلا . وهى فى نظره تتألف من مجموعة أجزاء أو أعضاء ينبعث من كل منها جمال وفتنة تولد اغراء الشاعر به وتهافته عليه . وليس للجانب المعنوى فى المرأة نصيب من اهتمام الشاعر . ولا يبدو فى أشعاره أنه اهتم بعقل المرأة أو ذكائها أو روحها أو ما إلى ذلك من مظاهر الحياة المعنوية الراقية .

وأهم ما يلفت نظر الشاعر فى المرأة : خصلة الشعر ، والشفاه الدقيقة ، والوجنات الوردية ، والرائحة المسكية .

وفى هذا ما يدل على أن الشاعر كان مع المرأة لاهياً عابثاً ، ولم يعرف عنه أنه عشق امرأة حتى يتذوق الجمال فى المرأة من ناحيتيه المادية والمعنوية معاً .

---

(١) مرا بسرد وفرو ريخت هر چه دندان بود نبود دندان لا بل چراغ تابان بود

وهذه أمثلة من غزليات الرودكى ، يقول :

يامن انتزع من الورد الأحمر اللون والرائحة
فللوجنة اللون وللشعر الرائحة

يصبح الغدير كله وردى اللون حين تغسل فيه وجهك
ويمسى الحى كله مسكى الرائحة حين تنشر شعرك (١)

ويقول :

رأيت خصلتك ملوية الطرف من الكبر
تتماوج على ورد الخد الأرجوانى

تأسر فى كل لية من لياتها ألف قلب
وتجذب فى كل طية من طياتها ألف روح (٢)

ويقول :

من ذا الذى جعل خصلة شعرك جيما ؟ انه الذى
جعل من خالك نقطة تلك الجيم

فلك الدقيق كأنه
حبة رمان انشطرت شطرين(٣)

(يشبه خصلة شعر الحبيب فى تدليها وتثنيها بحرف الجيم لانثنائه ، ويشبه خال الحبيبة بالنقطة وهذا الخال من نقطة الجيم .)

ويقول :

الورد والمسك والعنبر والتفاح
والياسمين الأبيض والآس الجميل

---

(١) أى از كل سرخ وتلك پر بوده وبو ... زلفك از بى رخ وبوده بو از بى مو
كل وتلك شود چو روى شوخى همه چو ... مشكين كردد چو مو نيكان همه كو
(٢) زلفك ديدم سر از جان بيجيده ... وندر كل سرخ ارغوان بيجيده
دوهر بندى هزار دل در بندش ... در هر بيچى هزار جان بيجيده
(٣) زلف ترا جيم كه كرد آنكه أو ... خال ترا نقطهٔ آن جيم كرد
وآن دهن تنك تر كوى كى ... دانككى ديدار بدو يم ا كرد

كلها قد تفتحت وأينعت مرة واحدة
لديك يامحمود الملوك الفتان

كأن ليلة عاشقك ليلة القدر
إذا كشفت له فيها عن وجهك النقاب (١)

ويقول :

إذا كنت خريفاً لحديقة العقل
فأنت لجنة العشق ربيع

إذا كنت للعشق نبياً
فأنت للحسن رب (٢)

(يقصد أن المحبوب وان كان لفرط جماله يذهل العقل ويذهبه فيصبح كأنه فى خريفه الا أنه للعشق والشباب ربيع . فالعقل فى خريف لما يعتريه من ذهول ودهش من جمال الحبيب ، والقلب والعشق فى ربيع لما يذكيه جمال الحبيب من نار الحب) .

ويقول :

جاءنى من ؟ الحبيب . متى ؟ وقت السحر
نخاف من ؟ الخصم . خصمه من ؟ الأب

قبلته قبلتين . علام ؟ على شفة ناعمة
أكانت شقة ؟ لا . فماذا كانت ؟ عقيقاً مثل ماذا ؟ مثل السكر

---

(١) كل صد برك وشك وعتب وعيب — يانحسين مجيد ومحمود بزيب
اين همه يكسره تمام شدست — زد تو اى بت ملوك فريب
شب عاشقت ليله القدر ست — چون تو بيرون كنى رخ از جلبب

(٢) چون عقل را خزان آكر — گلشن عشق را بهار تونى
عشق را كر بميرى ليكن — حسن را آ فريد كار تونى

(٣) آمد بر من كه؟ يار . كى؟ وقت سحر — ترسنده ز كه ؟ زخصم . خصمش كه؟ پدر
دادمش در بوسه بر كجا؟ بر لب تر — لب بد؟ نه . چه بد؟ عقيق چون بد؟ چو شكر

ويقول :

إذا كنت تقبل الرودكي غلاماً عندك
فلن يرضى ألف دارا عبيداً له (١)

أى أنه يكفيه سعادة أن يقبله المحبوب غلاماً له . وهذا أفضل عنده من أن يتخذ ــ أى الشاعر ــ ألف ملك مثل دارا عبيداً له ، ولأن يكون عبداً للمحبوب خير من أن يكون الملوك عبيداً له .

الربيع عند الرودكى :

ومن شعر الرودكي الجميل فى وصف الربيع قوله :

جاء الربيع السعيد بألوانه وروائحه الذكية
مع مائة الف من الزينات العجيبة

فى هذا الوقت يمكن أن يرتد الشيخ شاباً
وتطرح الدنيا المشيب لتكتسى بالشباب

قد جند الفلك العظيم جيشاً
وجيشه السحاب المظلم وريح الصبا هى النقيب

كأن البرق المضيء قاذف النفط فى هذا الجيش وكأن الرعد ضارب الطبل

رأيت آلاف الخيل ولم أر منظراً مهيباً مثل هذا .

أنظر إلى ذلك السحاب الذى يبكى بكاء المحزون
وذلك الرعد الذى يتوح كالعاشق الكئيب

ووجه الشمس يظهر أحياناً من خلال السحاب
كأنه محصور يفلت خلسة من الرقيب

قضى العالم أزماناً فى ألم وعناء
ثم تحسنت حاله حين اتخذ له الطبيب من رائحة الياسمين دواء

---

(١) تو رودكى بندى اكر قبول كنى بيندكى نهصد هزار دارا مرا

أمطرت الدنيا مطراً معطراً أولا بأول
واكتست بالثلج حلة قشيبة (١)

كل ركن كثر فيه الثلج مما فيه الورد
كل جلجول كان جافاً صار زاخراً

الرعد فى الصحراء يثير دائماً الريح
والبرق من بين السحاب يرفع دائماً العصا

شقائق النعمان بين المزارع تضحك دائماً من بعيد
وقد صارت ككف العروس المخضب بالحناء

والبلبل دائماً يغنى على غصون الصفصاف
فيردد الزرزور الغناء من فوق شجر السرو

وقد ترنم القمرى على شجرة السرو بلحنه القديم
وصدح البلبل على غصن الورد بلحن غريب

الآن فلتشربوا الخمر والآن فلتعيشوا سعداء
فان الحبيب قد أخذ الآن نصيبه من صدر الحبيب

اختر الساقى والخمر واشـــــــــرب على لحن الزير
فهذا هو الزرزور يشدو فى الحقول وهذا هو العندليب يغرد فى البستان

---

(١) آمد بهار خرم با رنك وبوى طيب — باصد هزار زينت وآرايش عجيب
شايد كه مرد پير بدين كه شود جوان — گيتى بديل شباب از پى مشيب
چرخ بزرگوار يكى لشكرى بكرد — لشكرش ابر تيره وباد صبا نقيب
نقاط برق روشن وتندرش طبل زن — بديدم هزار خيل وتديدم چنين مهيب
آن ابر بين كه كويد چون مرد سركوار — وآن رعد بين كه نالد چون عاشق كيب
خورشيد را ز ابر دهد روى كاه كاه — چونان حصارئى كه كلر دارد از رقيب
يك چند روزكار جهان دردمند بود — به شد كه يافت من را مرا طبيب
باران مشكبوى بيارديه نو بنو — وز برف بركشيه يكى حلة قشيب

مهما يكن ربيع حياتك الجديد جميلا فى عينك
فرؤية ذلك السيد العظيم الحسيب أجمل

لك فى تدانيك رفعة ، وفى الرفعة تدان
أبناء آدم من أمرك فى حيرة ودهشة (١)

وفى هذه الأبيات حديث عن الربيع وصور كثيرة . فهو يصور السماء بما فيها من قطع السحاب المظلم ، والرياح المزمجرة ، والبرق المضيء ، والرعد القاصف بالجيش المظلم الذى يسد الأفق فتتعذر معه الرؤية ، والرياح فى زمجرتها كأنها نقيب ذلك الجيش الذى يصدر اليه الأوامر بصوته القوى ، يشبه البرق المضيء بقاذف النفط الذى يلقى قذائفه فتحرق وتضيء ، ويصف الرعد فى صوته بضارب الطبل فى ذلك الجيش . ومع أن الشاعر رأى آلاف المعارك والمواقع التى احتشدت فيها الخيل والجند إلا أنه لم ير منظراً يدانى هذا هيبة . وينتهى الشاعر من وصف الربيع ليدخل بعد ذلك إلى المدح . وبهذا نرى أن هذا الوصف مقدمة للدخول فى الموضوع الرئيسى وهو المديح ونقطة التحول بين وصف الربيع والمدح هو ذلك البيت الذى يذكر فيه الشاعر أن الربيع مهما يكن فى العين جميلا فرؤية الممدوح أجمل . وهذا الممدوح مع ارتفاعه وعلو شأنه متواضع لا يتعالى .. الخ .

---

(١) كنجى كه برف پيش مى داشت كل هر جو يكى كه خشك مى بردشد رطب

تندر ميان دشت مى باد بر دمد برق از ميان ابر مى بر كشد قضيب
لاله ميان كشت بخنده مى ز دور جون بنجه عروس بحنا شده خضيب
بلبل مى بخواند در شاخسار بيد سار از درخت سرو مرارورا شده مجيب
مسلسل بصرو بن بر بانغمهٔ كهن بلبل بشاخ كل بر بالحنك غريب
اكنون خوريد باده وا كنون ز ئيد شاد كاكنون برد نصيب حبيب از بر حبيب
ساقى كزين رباده وى خورد بيانك زير كز كشت سار نالد واز باغ عندليب
هر جند فر بهار جهانست بچشم خوب ديدار خواجه خوب تر آن مهتر مهيب
نشيب تو بافراز وفراز تو بانشيب فرزند آدمى بتو اندر بشيب وفيب

الزهد فى شعر الرودكى :

وللرودكى فى الزهد أشعار طيبة . ومن الجو الذى يسود هذه الأشعار ، جو التوبة إلى الله ، والندم على مافات ، والنظر إلى الدنيا نظر الزاهد المنصرف يتضح لنا أن هذه الأشعار قد قيلت فى أخريات أيامه . فهو يرى أن :

هذا العالم حاله كالنوم تماماً
يعرف هذا من كان قلبه واعياً (١)

وهو لا يبالى بما وقع له فى أمسه وما يأتيه به الغد فيقول :

يجب ألا يفرح الانسان بما يأتى
ويجب ألا يذكر الانسان ما قد مضى (٢)

والحياة مهما طالت فالمصير إلى الموت لا مفر منه مهما لقى الانسان فى حياته من شدائد وعناء أو نعم ورخاء .

مهما تطل الحياة أو تقصر
ألا تنتهى أخيراً إلى الموت
فعش ان شئت فى شدة وعناء
وعش ان شئت فى نعمة ورخاء (٣)

كما ينبغى أن ينصرف الانسان عن اللذات :

لا ترطب شفتك بالماء الذى يسيل فى القدح
وارفع اليد عن الكباب فانه توأم السم (٤)

---

(١) اين جهان پانه خراب كردارست — آن شناسد كه دلش بيدار ست
(٢) زآمده شادمدن نبايد بود — وز كذ شته نكرد بايد ياد
(٣) زندكانى چه كوته چه دراز — نه بآخر بمرد بايد باز
خواهى اندر عنا وشدت زى — خواهى اندر امان بنعمت وناز
(٤) لب تر مكن بآب كه طاقست در قدح — دست از كباب دار كه زهرست توامان

والآن وقد أوشك الرجل أن يستدير الدنيا ليستقبل الآخرة فليس له الا أن ينقطع لمدح الله ويدع مدح الناس .

مدحت الله الذى خلقنى
فانقطع لسانى عن الغزل ومدح عباده (١)

وأبسط تعليل لظاهرة الزهد فى شعر الرودكى وغيره من الشعراء أن الانسان إذا علت به السن وتوقع بين يوم وآخر مفارقة هذه الدنيا ندم على ما كان منه من عبث وفسوق أيام الشباب . والمشيب بطبعه وقت ضعف وعجز عن مباشرة اللذات وارتكابها . ومن هنا كان الاتجاه إلى الله فيه خالصاً قوياً لانعدام أسباب تحصيل المتعة واللذات .

ومن قول الرودكى فى الموعظة والحكمة :

أيها المغموم وحق لك أن تغتم
يامن تمسح دموعك فى الخفاء

مضى من مضى وأتى من أتى
وكان ما كان فما جدوى ذلك الغم

هل تريد دنيا لينة مهادنة
انها الدنيا متى كانت تقبل المسالمة

لا تضرع فانها لا تسمع الضراعة
ولا تنح فانها عن سماع النواح صماء

نح ما شئت حتى يوم القيامة
متى كنت بالنواح ترد ذاهبا

ما أكثر ما يصيبك من أذى هذه الدنيا
إذا كنت تنوح لأى سبب

---

(١) خداى رابستودم كه كردكار منست زبان از غزل ومدح بندكانش ببست

كأن بلاءها موجه
إلى كل ما تعلق القلب به (١)

ويقول وقد فهم حقيقة الحياة :

مازهوك كله ووجودك نفسه سوى حلم
حكم الحلم هو حكم المجاز (٢)

وقد سبق عند الكلام على شيخوخة الرودكي أن لخصنا بعض معانيه في قصيدته المشهورة التي يشكو فيها الزمان ويتحسر على المجد والشباب الذي ولى ولن يعود . وهذه القصيدة من شعره الممتاز ، ولعلها من خير ما قيل في شكوى الزمان . انظر ص من هذا البحث .ويختم الشاعر هذه القصيدة ببيت مؤثر يعبر فيه عن تغير الحال والزمان، وتبدل الصحة ، وزوال النعمة فيقول :

تغير ذلك الزمان وتغيرت أنا الآخر
احضر الآن العصا فان وقت العصا والخلاة قد آن (٣)

الموسيقى والشعر عند الرودكي :

كان الرودكي ينشد أشعاره على نغمات الموسيقى فيضاعف ذلك من حسنها وتأثيرها . ويظهر أن ذلك كان خطة كبار الشعراء في العهود

---

(١) أى آنك تحكى ومى آوارى ... وندر نهان سرشك همى بارى
رفت آنك رفت وآمد آنك آمد ... بود آنكه بود خيره چه غم دارى
هموار كرد خوامى كيتى را ... كيتيست كى پذيرد هموارى
سستى مكن كه نشنود او زارى ... زارى مكن كه نشنود او زارى
شو تاقيامت آمد زارى كن ... كى رفته را بزارى باز آرى
آزار خويش زين كردون بينى ... كر تو بهر بهانه بيا زارى
كرئى كا شته است بلائى أو ... بر هر كه تو دل برو بكارى
(٢) اين همه باد وبود تو خوابست ... خواب را حكم نى مكن بمجاز
(٣) كنون زمانه دكركشت ومرد كركشتم ... عصا بيار وقت عصا وانيان بود

الفارسية الاسلامية الأولى . وكان الشعراء الكبار أمثال الرودكي ومنجيك الترمذي وفرخي من أساتذة زمانهم في الموسيقى . ومن الواضح أن هذا الأسلوب في انشاد الشعر قد جاءهم من العهد السامانى . ومن هذه الناحية نرى أن هناك أوجهاً كثيرة للمقارنة بين شاعرنا السامانى الرودكي وبين باربد الساسانى .

وكما كان الرودكي مغنى نصر بن أحمد السامانى كان باربد مغنى خسرو برويز الساسانى . وكما كان رجال الحاشية في البلاط السامانى يستعينون بالرودكي فيما لا يقدرون أن يبلغوه الأمير بأنفسهم كان كذلك رجال البلاط الساسانى إذا لم يجدوا في أنفسهم الشجاعة لأن يخبروا خسرو برويز بخبر ما استعانوا بمغنيه باربد ليلقى اليه هذا الخبر في شعر رائق وصوت عذب ولحن جميل .

وقد رووا أن خسرو برويز كان له حصان جميل حبيب إلى قلبه عزيز على نفسه . وكان يسمى شبديز . فمرض ذات يوم ، وألح عليه المرض فأقسم خسرو ليقتلن من ينعاه اليه . ولما نفق شبديز لم يجرؤ مروض خيله أن يبلغه الخبر وخشى إن هو سأل عنه أن يبلغه أنه نفق فيكون في هذا هلاكه ، فجاء إلى باربد مغنى كسرى ورجاه أن ينظم هذا الخبر في احدى أغانيه التي يغنيها أمام الملك . وقد استطاع باربد ببراعته في النظم والغناء أن ينهى إلى الملك خبر موت شبديز في أسلوب غير مباشر . فلما سمع الملك الأغنية فهم أن شبديز قد نفق فصاح «مات شبديز» فقال باربد على الفور « لم أقلها يامولاى أنت قلتها» فأعجب الملك بحسن العرض الذى لجأ اليه باربد وقال له «لقد أنقذت نفسك وأنقذت غيرك حين رويت لى الخبر على هذا النحو» . وقد روى هذه القصة كثير من المؤلفين العرب وقيلت فيها أشعار عربية مختلفة. وتروى عن خسرو برويز ومغنيه باربد قصة أخرى تشبه هذه ، فيذكر ابن الفقيه أن السبب في بناء قصر شيرين أن الملك أمر أن تقام له حديقة واسعة يؤتى اليها من كل صيد حتى يتناسل ويكثر نسله فيها . فلما فرغ

العمال من انشاء هذه الحديقة عاينها الملك وسرها فأمر فأنعموا على العمال بالأموال الكثيرة . وفى غمرة الفرح والسرور بهذه الحديقة ونشوة الخمر قال خسرو لزوجته ومحبوبته شيرين «تمنى على شيئاً» فطلبت أن يكون لها فى هذه الحديقة قصر تجرى من تحته أنهار من خمر ولبن . فوعدها الملك بتحقيق ما طلبت إلا أنه نسى الوعد بعد ذلك واستحت هى أن تذكره فلجأت إلى باربد وطلبت اليه أن يذكر الملك فى احدى أغانيه بما وعدها على أن تكافئه بضيعة لها كانت فى أصفهان . فوافق باربد ونظم شعراً فى هذا الموضوع وهيأه للموسيقى والغناء فلما سمعه خسرو تذكر ما كان ناسيا وأمر فبنوا القصر والقنوات . ووفت شيرين بدورها ووهبت باربد ضيعتها فى أصفهان (١) :

وإذا كان صاحب تاريخ كزيده عند وصفه مظاهر الترف التى كان يحيا فيها خسرو برويز قد ذكر أن باربد كان له فى مآدب برويز ثلاثمائة وستون أغنية يغنى واحدة منها كل يوم (٢) ، فلا شك أن الرودكى كان له هو الآخر مجموعة كبيرة من الأغانى والألحان فقد كان ملازما للأمير يغنيه صباحاً ومساء كما كان يصاحبه فى كل مكان سواء أكان الأمير مقيما فى بخارى أو مرتحلا خارجها . وهذه المصاحبة القوية تفرض على المغنى أن يكون واسع المادة ، متنوع البضاعة وإلا سئمه الأمير وانحطت مكانته عنده .

ويمكن هنا أن نلخص أوجه الشبه بين الرودكى وباربد :
كان كل منهما شاعراً ومغنياً وملحناً .

كما كان كل منهما ينشد الشعر مصحوباً بالغناء والموسيقى . وهو اتجاه ساسانى قلد فى العهد السامانى .

---

(١) ابن الفقيه : مختصر البلدان ١٥٨ ط ليدن
(٢) تاريخ كزيده : ١/١٢٢ ط براون ١٩١٠

وكان كل منهما عالى المكانة عند مليكه ينهى اليه أخطر الأخبار فى أبرع قالب .

واعترف لكل منهما معاصروه بالسبق واستفادوا من براعته وفنه الشيء الكثير .

ثقافة الرودكى :

قراءة أشعار الرودكى تدل على أنه كان ذا حظ من الثقافة العامة فى نواحيها المختلفة :

فهو ذو اطلاع فى الميدان الفلسفى . ونظرية الطبيعيين اليونان كانت معروفة عند الرودكى . ولا شك فى أن الرودكى قد سمع عن نظرية طاليس ومؤداها أن المادة الأولى هى الماء ، وعرف نظرية أنكسيمانس الذى يرى أن الهواء هو المادة الأولى ، وبلغته نظرية هرقليطس الذى ذهب إلى أن النار هى المصدر الأول الذى تصدر عنه كل الأشياء وترجع اليه ، وسمع عن نظرية أنبادقليس الذى اعتبر العناصر الأربعة الماء والهواء والنار والتراب هى الأصل الذى تتكون منه كل الأشياء .

هذا المذهب الطبيعى لا شك أن الرودكى قد وقف عليه حين يقول فى قصيدته التى مدح فيها أباجعفر :

الخلق من تراب وماء ونار وريح
وهذا الملك من بريق جوهر ساسان (١)

وفى القصيدة نفسها يشبه ممدوحه فى الحكمة بسقراط أو أفلاطون .

والفكرة الثنوية القديمة لا تزال تتردد فى شعر الرودكى ، فهو يرى أن الروح منيرة مشرقة ، وهى من عالم السماء ، وأن الجسد مظلم حالك ، وهو من عالم الأرض والتراب . والياك قوله فى رثاء المرادى :

---

(١) خلق ز خاك وز آب وآتش وبادند وين ملك از آفتاب كوهر ساسان

رد روحه الطاهرة إلى السماء
وأودع الأرض الجسد الظلم (١)

ويقول عنه أيضاً :

طرح قالب التراب فى التراب
وحمل عقله وروحه نحو السموات (٢)

ولا جدال فى أن غزو الاسكندر لبلاد ايران كان عاملا قوياً فى نشر الثقافة اليونانية التى وطدت أقدامها بعد ذلك فى عهد خلفائه السلوقيين الذين خلفوه فى حكم البلاد ، كما أن دولة البارث الذين انتهت على أيديهم دولة السلوقيين كانوا من المعجبين باليونان وقد أظهروا حبهم لهم واعجابهم بهم فى صور مختلفة حتى نقشوا على العملة نقوشاً يونانية ، وكذلك انتشرت الثقافة اليونانية فى ايران فى العهود المسيحية والاسلامية أيضاً . وكان لها مدارس فى كثير من المدن كجند يسابور التى أسسها سابوربن أردشير الساسانى وغيرها .

ومن هنا نرى أن وصول مثل هذه المعلومات الفلسفية اليونانية إلى الرودكى أمر سهل ميسور .

وكان الرودكى ذا علم بالفقه ورجاله فهو يشبه ممدوحه أبا جعفر بأنه فى العلم بالفقه الشافعى وأبو حنيفه وسفيان فيقول :

وان كنت فقيهاً تميل إلى الشرع
فهو الشافعى وأبو حنيفه وسفيان (٣)

---

(١) جان كراى بيدر باز داد — كالبد تيره بمادر سپرد
(٢) قالب خاكى سوى خاكى فكند — جان وخرد سوى مجازات برد
(٣) ور تو فقيهى وسوى شرع كرائى — شافعى اينكت وبو حنيفة وسفيان

من لم تعلمه الأيام
فلن يعلمه معلم قط (١)

ومما يؤسف له أن ترجمة الرودكي الشعرية لهذا الكتاب لم يعثر عليها بعد كاملة ، ولم يبق منها الا القليل من الأبيات .

(١) هر كه ناهخت از كفشت روزكار نيز نآموزد زهيچ آموزكار